الجزء الأول: التكوين

الفصل الأول: البذور الأولى

الحياة فى دمنهور

ذلك الزمان الجميل... زمان وَلى

فى هذا الفصل، يصحبنا د. المسيرى فى رحلة تبدأ بمولده عام 1938 ثم نشأته فى بلده دمنهور، تلك المدينة التى كانت تسودها (كباقى مدن مصر الصغيرة وقُراها) مفاهيم التراحم وعادات وتقاليد المجتمع الزراعى، ويعرض علينا صورًا حية من هذه المفاهيم. ويرصد كاتبنا بحسه ودقة ملاحظته كيف أن هذه المفاهيم والقيم قد تبدلت وتغيرت بمرور الزمن... ولا يفوته أن يعرض علينا سلبيات ذلك المجتمع التقليدى.

وسنلاحظ من الخطوة الأولى فى رحلتنا الفكرية مع د. المسيرى كيف أن هذه النشأة قد تركت آثارها العميقة فى شخصيته.

obeikandl.com

الثمرة الأولى...

أهمية الانشغال بالتاريخ: أنت إنسان بإنسانيتك... لا بماديتك

يبدأ د. المسيرى رحلته بعرض تاريخ **بلدته** «**دمنهور**»، وكيف أنها من أقدم مدن العالم، فقد كانت عاصمة الوجه البحرى قبل توحيد القطرين. ثم يحدثنا عن تاريخ **عائلة المسيرى** التى تنتمى إلى الأشراف، ويخبرنا أن أول مسيرى مصرى كان عالمًا فقيهًا جاء من المغرب إلى مصر فى القرن السادس عشر. كما يحدثنا عن قبائل المسيرية الموجودة فى السودان، ويرجح أن لقب المسيرى مشتق من «المصرى». وكعادة المصريين حرص والد كاتبنا على أن يحفظ الابن أسماء أجداده، وأن يلم بتاريخ عائلته.

وقد أنبتت هذه البذرة فى نفس د. المسيرى حبًا واعتزازًا بأصله وإحساسًا بالتاريخ، انعكس فى المعمار الداخلى لمنزله (والذى حرص على أن يكون على التراث العربى بناءً وتأثيثًا)، كما ظهر فى تذييل توقيعه فى مقدمة كتبه بكلمتى (دمنهور – القاهرة).

بهذا **الاعتزاز بالإسلام وبعروبته ومصريته والاهتمام بتاريخ** بلدته ثم القبيلة والعائلة يوجهنا كاتبنا إلى أهمية الانشغال بالتاريخ:

«والانشغال بالتاريخ يعنى ألا ينظر الإنسان إلى واقعه بشكل مباشر، وألَّا يرى اللحظة الراهنة بحُسبانها البداية والنهاية، إنما بحُسبانها نقطة يلتقى فيها الماضى بالمستقبل. وينبغى ألَّا يتصور الإنسان أن الحاضر عالم بسيط يمكن اختزاله فى قانون أو قانونين، وإنما يراه من خلال نماذج وذكريات وتقاليد ورموز، أى أن الإنسان يواجه العالم من خلال إنسانيته لا من خلال ماديته. والإنسان كفرد ليس هو البداية والنهاية، وإنما هو **امتداد للماضى فى الحاضر، ومن ثَمَّ فى المستقبل**. وبطبيعة الحال، لم أكن أدرك كل هذا فى طفولتى وصباى، ولكن الإدراك الواعى ليس هو السبيل الوحيد الذى يتشكل من خلاله وجدان الإنسان!».

الثمرة الثانية...

النضج السياسى: بين جيل الأربعينيات وهذا الجيل

*** تعلمنا السياسة مع تعلُم القراءة والكتابة**

من الأمور اللافتة للنظر أن جيل المسيرى كان ينضج سياسيًّا بسرعة، مقارنة بأجيال هذه الأيام. فكاتبنا كان يشارك فى إلقاء الحجارة على الجنود الإنجليز وهو ما زال فى السابعة، كما أصدر مجلة مدرسية وعمره لم يتجاوز الحادية عشر، وأشترك فى المظاهرات عندما أُلغيت معاهدة 1936، وشارك فى مقاطعة البضائع الإنجليزية بل وفى حرقها أيضًا. وكان يهتم بالقراءات السياسية والثقافية.

ويخبرنا د. المسيرى أنه تَنَقل من حزب مصر الفتاة إلى الإخوان المسلمين إلى الحزب الوطنى وهيئة التحرير إلى الحزب الشيوعى وهو لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره بعد. ويوضح لنا كاتبنا دور «**مقهى المسيرى**» فى نضجه السياسى (شأن المقاهى السياسة وقتها) بأن المرء يُعبر عن رأيه أمام أصدقائه وجيرانه من رواد المقهى فى جو من المودة، دون خوف أو وجل من التجريب والخطأ.

*** ما بال أبناء هذا الجيل؟**

وحينما أقارن بين الاهتمام بالسياسة الذى كان أبناء جيلى يُبدونه **وعدم الاكتراث بالشئون العامة الذى يبديه أبناء هذا الجيل**، أتعجب وأتساءل عن السبب فى ذلك: هل هو انتشار التليفزيون وسيطرة وسائل الإعلام، أم غياب الأحزاب السياسية، أم تصاعد معدلات العلمنة (أى البحث عن اللذة والمتعة الشخصيتين) والعولمة (أى الإحساس بعدم الانتماء إلى وطن محدد وتقبل الأشكال شبه الحضارية العامة)؟. ولا يقتصر عدم النضج السياسى على مصر، بل هو ظاهرة عامة منتشرة فى كل أنحاء العالم، وإن

كانت حركة الجماهير فى مصر، بما فى ذلك أطفال المدارس، والعالم العربى بعد انتفاضة الأقصى المباركة، جعلتنى أُعدِّل من رؤيتى بعض الشىء[1].

الثمرة الثالثة...

إيقاع الحياة فى المجتمع التقليدى

كان إيقاع الحياة فى دمنهور هادئًا، مما أتاح لنا دائمًا متسعًا من الوقت. وكان اليوم ينقسم إلى قسمين: الصباح فيه يعمل الناس، ثم بعد الظهر وفيه يتزاورون أو يذهبون إلى المتنزهات أو الحقول المجاورة، ويفصل بين القسمين القيلولة.

ولنقارن هذا بيوم العمل الآن، إذ يذهب العامل إلى محل عمله فى الساعة الثامنة والنصف صباحًا ـ على سبيل المثال ـ ولا يغادره إلا فى الثالثة أو الرابعة. وعادةً ما يستغرق حوالى ساعة ونصف الساعة فى عملية الانتقال. والأطفال غير مستثنون من هذه الطاحونة، فهم يستيقظون فى الفجر ليلحقوا بأتوبيس المدرسة ولا يعودون إلى المنزل إلا بعد العصر.

والإيقاع البطىء يعنى أن الأفراد لا يتنقلون كثيرًا، فالأب موجود والأم موجودة والأخوال والأعمام والخالات والعمات موجودون، وإذا احتاجت الأم عون أحد من الكبار، عند غياب الأب، فهناك دائمًا من يحل محله.

* الأجيال بين التقارب والفجوة والصراع

كانت الأجيال فى دمنهور متقاربة فى مفاهيمها. كنا كلنا نسمع الأغانى نفسها تقريبًا، ونلبس الملابس نفسها، ونتحرك فى الحيز نفسه، ونشارك فى

(١) لا شك أن د. المسيرى لو امتد به العمر لتعدلت رؤيته للشباب بشكل أكبر، بعد اندلاع **ثورات الربيع العربى** التى قام فيها الشباب بدور محورى، كما ساهمت فيها حركة كفاية بدور كبير أيضًا.

obeikandl.com

المناسبات نفسها، إذ كانت هناك مجموعة من القيم الأخلاقية والمعرفية والجمالية نؤمن بها جميعًا، لا فرق فى ذلك بين الغنى والفقير أو بين الكبير والصغير. لم يكن هناك رداء شبابى أو أغانٍ شبابية أو أماكن يرتادها الشباب وحدهم، فكل الأجيال كانت متقاربة. ويقف هذا على طرف النقيض مما يحدث الآن، فالفجوة بين الأجيال آخذة فى الاتساع، والصراع بينها يزداد حدة، ولم تعد أحلام الشباب تشبه أحلام الكبار، ولم تعد الأحزان هى نفس الأحزان.

أما فى الغرب فلم يعد هناك مجرد فجوة بين الأجيال، وإنما تطاحن وحشى وفردية مطلقة، لدرجة أن الشاب الذى يصل إلى سن الثامنة عشرة عليه أن يجد منزلًا مستقلًا لنفسه، إذ إن عائلته ترفض الاستمرار فى الإنفاق عليه. وعلى الإنسان الذى يصل إلى سن الستين أن يجد ملجأً للعجزة لأن أبناءه لن يسألوا عنه إلا مرة واحدة كل سنة، عادةً فى الكريسماس. وأحيانًا أتساءل: هل سنصل إلى هذه الدرجة من «التقدم» فى يوم من الأيام؟ وحينما أفكر فى الإجابة يصيبنى الهلع. وتعود ظاهرة صراع الأجيال هذه إلى مجموعة من الأسباب، من بينها تآكل الأسرة كمؤسسة اجتماعية، وتراجع الإحساس بالهُوِيَّة القومية المشتركة، وتزايد معدلات الفردية وما يصاحبها من تزايد الحس النفعى.

الثمرة الرابعة...

سلوكيات سائدة: من التدوير (recycling) إلى التبديد

* مجتمع يُقَدِّر نعمة الله

والمجتمع الدمنهورى ـ شأنه شأن المجتمعات التقليدية ـ يرفض التبديد ويُقدِّر «نعمة الله». كنا إذا وجدنا فى الطريق قطعة من الخبز نلتقطها، وبعضنا كان يقبلها ثلاث مرات ثم يضعها إلى جوار الحائط حتى لا يطأها أحد

بقدميه. كان لا يُلقى إلا بأقل القليل فى سلال القمامة، أما بقية الأشياء فكان يتم تدويرها: أوراق الجرائد – علب الأكل المحفوظ – قشر البطيخ ولبه – بقايا الطعام، كل شىء كان يمكن إعادة توظيفه.

تعلمَت **أمى** فى أثناء الحرب العالمية الثانية، مع أزمة الكبريت، أن تحتفظ بلمبة (سهَّارى) وكنا حينما نود إشعال (البابور البريموس) نضع قطعة من الكرتون (من علب سجائر تم قصها) فى اللمبة لنشعلها، وقد أعجبتها الفكرة فظلت تمارسها إلى يوم وفاتها فى منتصف السبعينيات وإن كان البوتاجاز قد حل محل البريموس، لم يكن هناك توفير فى العملية وإنما هو الالتزام بالتدوير، فكل شىء نعمة من الله سبحانه وتعالى.

ويبدو أننى **ورثت شيئًا من هذا**، كاستخدامى للورق الذى سبق استخدامه (الورق الدشت) لأكتب على ظهره، وارتدائى الملابس حتى تَبلى تمامًا. وتشكو زوجتى من أن بعض الفقراء ممن تعطيهم الملابس القديمة يقولون: «بلاش والنبى حاجات البيه»، لأنهم لا ينتفعون بها على الإطلاق، وزوجتى توافقهم بطبيعة الحال، إذ ترى أن ملابسى القديمة تصلح بالكاد لأعمال النظافة.

ومن أكبر مظاهر عدم التبديد ما يُسمَّى «**الزيارة**». فحينما كان بعض الأقارب يأتون من الريف للإقامة معنا بعض الوقت، أو حينما كان أحد الخُطَّاب يأتى لزيارة عروس المستقبل، فإنهم كانوا يحضرون معهم «الزيارة» التى تتكون أساسًا من مأكولات مثل السمن البلدى والبطاطس والبرتقال وربما دجاجة أو بطة مذبوحة أو حية، وهكذا. فالهدية هنا يمكن الاستفادة منها فورًا، بدلًا من أن تتحول إلى «شىء» يُضاف إلى الأشياء الأخرى التى لا لزوم لها ويكتظ بها المنزل.

*** مع زيادة التقدم يتآكل نموذج التدوير ليحل محلة نموذج التبديد**

إذا نظرنا إلى **لعب الأطفال** مثلًا، وجدنا أن أبناء جيلنا كانت لديهم خبرات يدوية كثيرة. فكنا نصنع المراكب والطائرات من الورق ونستخدم (غطيان الكازوزة) فى عمل الكراسى وتزيين الملابس. أما اللعب البلاستيكية الجاهزة الحالية فلا تنمى موهبة ولا خبرة بل تمثل عبئًا بيئيًا كبيرًا عند التخلص منها.

وقد تدهور الأمر تمامًا مع حفيدى، الذى وقع ضحية الجريمة المنظمة التى تُسمَّى **أعياد الميلاد** (من أهم الطقوس العلمانية فى مجتمعنا). فإذا كان عدد زملائه فى الفصل 25، هذا يعنى أنه سيُحضر 25 لعبة لزملائه، وهم بدورهم يفعلون الشىء نفسه. فيصله فى يوم عيد ميلاده عدد مخيف من اللعب.

وحينما عَقدتُ **حفل زفاف ابنى** كنت أعرف أنه سيتبقى الكثير من الطعام، فذهبت إلى السيد المدير المسئول فى الفندق وسألته عما سيحدث لبقايا مأدبة العشاء، فأجابنى بعجرفة غير عادية وباللغة الإنجليزية (garbage) أى (قمامة) فقلت له بهدوء شديد أننى ضد التبديد، وأننى سأحضر كراتين وأوانى وحللًا لآخذ ما تبقى لتوزيعه على المحتاجين فى المنطقة التى أسكن فيها، فنظر إلىَّ بامتعاض شديد بُحسبانى شخصًا غير متحضر، ولكننى أصررت على موقفى، فتحول حفل الزفاف من لحظة تبديد وقمع إلى لحظة تدوير ورخاء ومشاركة.

وقد حدث الشىء نفسه حينما **دخلت المستشفى** لإجراء عملية جراحية فى عمودى الفقرى، فطلبت ألا يُحضر أحد وردًا أو شيكولاته وأن يعطى لأحد المساكين مالًا ويطلب منه أن يدعو لى بالشفاء. وقد امتثل بعض الأصدقاء لطلبى.

ونختم بالمصيبة الكبرى فى عالم التبديد، وهو ما يحدث مع علب

المشروبات الغازية (**Cans**)، فلم يحدث فى تاريخ أية حضارة أن تكون تكلفة الوعاء الذى نلقيه فى سلة المهملات (العلبة) أعلى من تكلفة المحتوَى الذى نشربه. ذلك بالإضافة للعبء البيئى فى التخلص من هذه العلب.

الثمرة الخامسة...

القيم والشعائر الدينية والعُرفية تضبط حركة كل شىء

كانت دمنهور تعيش داخل إطار صارم من القيم والشعائر الدينية والعُرفية التى تضبط حركة كل شىء: منْ يُقبِّل يد منْ؟ منْ يُفسح الطريق لمنْ؟ ما واجبات كبار العائلات؟ وما حقوقهم؟ وما واجبات الأهالى وحقوقهم؟

كان المجتمع (وليس مصمم الأزياء فى باريس) يقرر للأفراد، وخاصةً للنساء، ماذا يلبسون. وحينما اشتد الصراع بين التقاليد والحداثة أصبح غطاء الرأس من أهم رموز الانتماء، لذلك حينما كنت طفلًا فى المدرسة الابتدائية عام 1943 كان عَلىَّ أن أرتدى **طربوشًا**، وظل الرجال يرتدون الطربوش حتى عام 1952.

كما كان لبس (**السيغة**) أو المصُوغات (أى الأساور والعقود والقروط والخواتم الذهبية) مسألة جوهرية، لأنها كانت أفضل طريقة للادخار (لا ينافسها سوى المشاركة على **البهائم**، وهو أن يشترى المرء بقرة أو جاموسة أو نصف بقرة ونصف جاموسة يربيها له أحد الفلاحين نظير اقتسام الأرباح)، فلم يكن أحد يعرف طريقه إلى «البنك»، ولم يكن يثق به، ولذا كانت المرأة تؤمِّن «مستقبلها» عن طريق ما تلبسه من مصُوغات، كما أن زوجها كان يحقق قدرًا من الادخار بنفس الطريقة.

وكانت **الصلاة والزكاة** جزءًا من الحياة، وليست مجرد «فرائض» يؤديها

الإنسان أو شعائر يقيمها، فالحياة بدون الصلاة والزكاة لا معنى لها. ومثل كثير من أقرانى كنت أُجوِّد قراءة القرآن.

كانت مفاهيم المجتمع التقليدى **ترفض «الرغبة فى المتعة» فى حد ذاتها بدون هدف أخلاقى أو عملى**. لذا كانت أمى تحب شجرة الخوخ الكبيرة لأنها تعطينا ثمراتها، أما الورد فكان يسبب لها مشكلة، إذ كنا نحاول تزيين المنزل به وكانت لا تمانع، بشرط أن نصنع من بعضه مربى الورد ! وكانت ترى أن ذهابنا إلى السينما مضيعة للوقت.

وكان الطلبة يحترمون أساتذتهم احترامًا جَمًّا، ويخافون من حضرة الناظر (كم كانت فرحتنا عندما يحيينا الأستاذ خارج صفوف الدراسة). وكان **نشيد الصباح** هو المناسبة اليومية التى يُعبِّر فيها الطلبة عن ولائهم للنظام. وكان هناك ما يسمى بـ «**التفتيش**» أول أيام الأسبوع، فيقوم الطلبة بفرد أياديهم إلى الأمام، ويمر المشرف ليتأكد من أن أظفارهم قد قُصَّت وأن أحذيتهم لامعة.

*** من النقيض إلى النقيض**

كان المجتمع يحدد كيف تُقام الأفراح والجنازات؛ ففى أفراح الأثرياء كانت الولائم تُقام للجميع ليأكلوا ويشبعوا، فيما يشبه موائد الرحمن، وتوزع علب الحلوى على الجميع. أمَّا **أفراح هذا الزمان** فتتطلب استيراد الطعام من الخارج (لحم النعام والغزال والجرجير السويسرى، على سبيل المثال) ليهنأ به الضيوف، ويتم استدعاء قوات الأمن المركزى لتفريق المتظاهرين الفقراء فى الخارج! **فالفرح أصبح إحدى اللحظات غير الإنسانية التى يتم فيها استعراض الثروة والتباهى بها وتزداد فيها حدة الصراع الطبقى**، بعد أن كان اللحظة الإنسانية التى يتم فيها إسقاط الحدود الاجتماعية مؤقتًا ويتم فيه تقليل حدة الصراع الطبقى ليُعبِّر الجميع عن إنسانيتهم المشتركة.

وتبلغ تكاليف مثل هذه الأفراح ملايين الجنيهات، فى الوقت الذى لا نعرف أن هؤلاء الأثرياء الجدد (القطط السمان) قد تبرع بمثل هذه المبالغ لإنشاء مستشفى أو لدعم إحدى الجامعات ... إلخ. وقد ظهرت أخيرًا ظاهرة «**مخرج الأفراح**»، وهو شخص مهمته تحويل الفرح (الخاص) إلى ما يشبه الاستعراض العام.

أما أعضاء الطبقة المتوسطة فيكتفون بإحضار فِرَق غناء ورقص، وتشغيل الميكرفونات بصوت عالٍ يصعب معها الحديث مع مَنْ بجوارك، بل ويصعب الاستماع إلى الغناء والموسيقى !.

الثمرة السادسة...

رمضان والعيد بين أمس واليوم

أما الاستعداد **لشهر رمضان** فكان يسبقه بعدة أسابيع، إذ كنا نشترى الياميش والمكسرات ومستلزمات الخُشاف وقمر الدين.

كانت المدينة تصمت تمامًا انتظارًا لمدفع الإفطار الذى يُدَّوى فى جلال فتنطلق معه صيحات الأطفال المرحة لمدة ثوانٍ، ثم يُخيِّم الصمت مرة أخرى إذ تبدأ الأُسر فى تناول طعام الإفطار، **فلم يكن هذا الوحش المخيف «التليفزيون» قد اقتحم حياتنا بعد**، ولم تكن الفوازير وما شابه من برامج، قد انتشرت كالبكتيريا، لتحول الشهر الكريم إلى كرنفال واستعراض للرقص والعُرى، بل وتتفنن فى تضييع كل دقيقة من ليل الصائم ونهاره فيما لا ينفع لدين ولا دنيا.

وكان الشهر يتسم بدرجة عالية من التراحم. لم تكن موائد الرحمن قد أصبحت تقليدًا سائدًا بعد، لذا كانت الصدقات توزع على الفقراء بشكل فردى ومباشر، يتبارى فى ذلك الأثرياء مهما كانت طباعهم الشخصية.

obeikandl.com

كنا فى طفولتنا نحمل **الفوانيس** ونمر على المنازل نطلب ما يُسمَّى «**العادة**»، وهى منحة من أصحاب المنازل يعطونها للأطفال الذين «يُغَفِّرون» لهم، أى ينشدون لهم أنشودة قصيرة من كلماتها «لولا فلان ما جينا...يلا الغَفَّار». وقد أخبرنى أحد أصدقائى القاهريين أن أبناء الفقراء وحدهم هم الذين يجمعون «العادة» فى القاهرة. وحينما عدت من الولايات المتحدة عام 1969 علَّمت ابنتى نور بعض هذه الأغانى، وكنا نمر على أعضاء الأسرة «لنغفِّر» لهم، **فى محاولة يائسة للحفاظ على التراث.**

وكان هناك أيضًا **موكب الرؤية**، فى اليوم الذى يسبق رمضان، فبعد أن تثبت رؤية الهلال كانت كل حرفة تجهز عربة خاصة بها تسير فى شوارع دمنهور تحمل على ظهرها بعض أفرادها يقومون بتمثيل حرفتهم، فكانت تظهر عربة الحدادين ثم عربة النجارين، وهكذا.

ومع **اقتراب العيد** كنا نمكث معظم الوقت فى محل الوالد؛ لأن هذا هو موسم البيع الحقيقى (خاصة إذا تزامن مع موسم بيع القطن). وكانت والدتى ترسل الطعام لنا ولعمال المحل، أو نقوم نحن بإعداده فى السوق.

أما فى **العيد**، فكنا نلبس الملابس الجديدة، **وكان الصراع الطبقى يخف إلى حدٍّ كبير**، إذ يعم جو من المساواة الجميلة. فكانت عبارة «كل سنة وأنت طيب» هى العبارة التى يجدد الناس من خلالها علاقتهم بمفهوم «الإنسانية المشتركة» وكان جيراننا الأقباط يأتون لتهنئتنا بالعيد، تمامًا مثلما كنا نفعل فى أعيادهم.

الثمرة السابعة...

الإنسانية المشتركة والألعاب الجماعية وحب النكته والثقافة الشفوية

كان الأطفال والصبية يقضون أوقات لهوهم فى ألعاب جماعية، فللبنات ألعاب مثل «الحجلة» و«بِرِللا بِرِللا بِرِليللا» و «حبة ملح ـ عند الجارة»،

وللأولاد «السبع طوبات»، وحينما كنا نتقدم قليلًا فى السن كنا نلعب السيجة والشطرنج والطاولة والكوتشينة، وبالطبع كرة القدم (الكرة الشراب، كما كانت تسمى).

وغنى عن القول أن كل هذه الألعاب يمكن القيام بها بدون حاجة لشراء أى لعبة أو أداة، بل كانت تعتمد على اللاعبين ومهارتهم وحسب، ولذا كانت **تُضيِّق الهوة الاجتماعية بين اللاعبين**. كما أنها كلها **ألعاب جماعية** لا يمكن لفرد أن يلعبها بمفرده (على عكس الألعاب الحديثة غالية الثمن التى يمكن أن يلعب بها المرء بمفرده، إلى أن نصل إلى «القمة» وهو الكمبيوتر الذى يمكن أن نلعب معه الشطرنج وألعاب صراعية عديدة أخرى بمفردنا!).

وكان أولاد التجار والعمال والموظفين يُنفِضون عن أنفسهم انتماءاتهم الطبقية بعد الظهيرة ليشتركوا معًا فى اللعب، **وكان يعاد تشكيل هرم السيادة حسب المهارات الشخصية**، فبرغم إننى كنت ابن الحاج محمد المسيرى إلا إننى كنت خائبًا، أفشل دائمًا فى أن أُطَيِّر طائرتى الورقية، فقد كانت تهوى بسرعة إلى الأرض دون سبب واضح، لذا كان علىّ أن ألجأ لعمال محل والدى كى يساعدونى فى ذلك.

*** حب النكتة**

كلنا يعرف كم يحب المصرى القفشة السريعة، ولا شك أن الثقافة الشفوية تُثرى إلى حد كبير من رصيد الفرد وسرعة بديهته، وأنا شخصيًّا عندما تحكم «الأَفْيَة» لا يمكننى مقاومتها.

وأعتقد أن **حب النكته مسألة مرتبطة ببنية الإنسان المصرى**، فقلبه ينفتح إن اكتشف أن مَن أمامه قادر على إطلاق النكت. ولعل حب المصرى للنكته يعود إلى تجربته التاريخية الطويلة التى جعلته يعيش الكثير من التناقضات

ولحظات الانتصار والانكسار والشعور بالقوة والعجز، الأمر الذى جعله قادرًا على **تقبل التناقضات وتجاوزها من خلال النكتة**، وإن كان هذا لا ينفى أيضًا مقدرته على التجاوز من خلال الثورة.

*** خسائرنا من الثقافة الشفوية**

ولا شك أننا كنا نتعلم الكثير فى حياتنا اليومية فى دمنهور دون أن ندرك أهمية ما نتعلمه، لذلك من القضايا الأساسية المطروحة الآن فى عالم التربية: **ما مقدار الثقافة والأشكال الحضارية التقليدية الشفوية التى ستختفى حينما يتم تحديث المجتمع ومحو الأمية؟** هل ستكون الخسارة لا تُعوض، أم أن الثمن سيكون معقولًا؟ يرى البعض أن الثمن فى الواقع سيكون فادحًا؛ لأن المواد التى سيقرؤها من تعلموا القراءة والكتابة لن تكون بالضرورة الأعمال الكاملة لإسخيلوس أو الفارابى أو كونفوشيوس! فعدد مجلات الحوادث والجرائم وأخبار النجوم اللامعة لا يُحصى، ومعدل توزيعها يفوق معدل أى جريدة محترمة أو شبه محترمة. هل ثمة طريقة لمحو الأمية والرقى الحضارى المادى مع عدم حرمان الجماهير من الثقافة التقليدية الشفوية التى تتناقلها وتتعلمها دون جهد كبير، باعتبارها جزءًا من خطابها الحضارى وحياتها اليومية؟.

الثمرة الثامنة...

الأسرة والمسئولية الجماعية

*** الأسـرة الممتدة والأسـرة النوويـة**

من مظاهر الصراع بين الحداثة والتقاليد كان **ظهور الأسرة النووية** (زوج وزوجة وأولادهم) فى مجتمع الأسرات الممتدة (الجد وأبناؤه وأحفاده يسكنون فى منزل واحد كبير). فكان هناك الموظفون، الذين بدأ عددهم فى التزايد. وكان لكل موظف أسرة مكونة من زوجين وأطفال، ولا نعرف شيئًا

عن أصولهم، ومع هذا تقبَّلهم مجتمع دمنهور. بل كانت بعض الأسر العريقة لا تمانع فى أن تصاهرهم.

كان جدى الحاج أحمد على المسيرى، صاحب الضحكة المجلجلة والهيئة المهيبة، يعيش فى الدور الأرضى فى عمارته الكائنة فى شارع الأنصارى، ويعيش بقية أبنائه الأربعة فى شقق مختلفة فى العمارة نفسها. وكانت أمى أمًّا لأولادها ولأولاد أعمامى ولكل من يأتى فى طريقها، بل وللخادمات اللائى كانت تجلس معهن أحيانًا على الأرض وتأكل بعض الوجبات معهن فى المطبخ. وعلى كلٍّ كانت الخادمة التى تلتحق بمنزلنا لا تتركه إلا عروسة، فهى بمعنى من المعانى ابنة لأمى.

وكان **عمل المرأة فى المنزل أمرًا مُعترَفًا به اجتماعيًّا**، يقدره المجتمع حق التقدير (على عكس ما هو حادث الآن: فلو سألت أمًّا ماذا تعمل، لقالت: «لا شىء»، باعتبار إن «العمل» أصبح هو ما يقوم به المرء فى مجال الحياة العامة ويتقاضى عنه أجرًا، وكلا هذين الشرطين لا ينطبق على الأمومة!).

وقد كانت الخلافات تُسوَّى من خلال الأقارب، وكذلك الزيجات فى معظمها كانت تتم بنفس الطريقة، فالفرد لم يكن يتزوج بفرد آخر (كما هو الحال فى مجتمعنا الحديث)، **وإنما كانت العائلة «تصاهر» العائلة الأخرى. فالفرد فى المجتمعات التقليدية ليس وحيدًا، لا فى أفراحه ولا فى أحزانه.**

*** تـربية الشـوارع!**

فى المنطقة التى نشأت فيها كان كل الأطفال معروفين للجميع، ولذا **كان الوقت الذى أقضيه فى الشارع ليس مجرد «صياعة»، وإنما وقت للتنشئة الاجتماعية**، على عكس الشارع هذه الأيام. كما كان الصبية الكبار يراقبون الصغار وكأنهم أولياء أمورهم، مما كان يخفف العبء كثيرًا على الوالدين. تخبرنى أمى أننى ضللت طريقى مرة وأنا فى الرابعة، والتقطتنى إحدى الأسر

وأجلسونى لتناول الطعام معهم، لكنى رفضت أن آكل إلا بعد أن يضع جميعهم فُوطًا على صدورهم ـ كما اعتدت فى منزلى ـ لحماية ملابسهم من الأكل المتساقط، ففعلوا ذلك إرضاءً لخاطرى، أى أنهم عدُّوا أنفسهم مثل أسرتى، مسئولين عنى.

أذكر أننى كنت أسير فى إسطنبول عام 1977، وكان هناك طفلٌ فى العاشرة يدخن سيجارة فزجره أحد المارة، أى أنه لعب دور الأب برغم أنه كان لا يعرف الطفل. إنه **الإحساس بالمسئولية الاجتماعية فى المجتمع التقليدى**، وهذا أمر يستحيل أن يحدث فى المجتمعات الحديثة، خاصةً فى المدن الكبيرة.

الثمرة التاسعة...

تراجع دور الطبقة المتوسطة

يُعتبر أبناء الطبقة المتوسطة المتعلمون فى المدن الصغيرة وفى الريف المصرى من أكثر العناصر بحثًا وتساؤلًا وصلابة، **وأعتقد أن من أكبر الكوارث التى حاقت بالمجتمع المصرى تآكل الطبقة المتوسطة** فى ظل الانفتاح والعولمة، بسبب تضاؤل دخلها بسبب التضخم وزيادة التفاصيل فى حياتها: لقمة العيش ـ تعليم الأولاد ـ الرعاية الصحية... إلخ. وقد أدى هذا إلى تراجُع إسهام أبناء هذه الطبقة فى المجتمع بشكل ملحوظ.

الثمرة العاشرة...

المسلمون والأقباط، الوحدة الوطنية الحقيقية

*** روح التسامح: أمة واحدة**

وكما كانت روح التسامح سائدة فى العائلة الممتدة، وبين الأصدقاء والجيران، وبين المدرسين وتلاميذهم، وتسيطر أيضًا على جلسات الحوار فى مقهى المسيرى، فقد كانت نفس الروح تظهر فى علاقة المسلمين بالأقباط.

obeikandl.com

لقد كانت أعز هدية تلقيتها فى طفولتى من صديق قبطى لأخى الأكبر، اعتاد أن يأتى لى بالحلوى والهدايا. وكان ابن قسيس الكنيسة يجلس إلى جوارى فى المدرسة، وكانت تربط التلاميذ جميعًا علاقة محبة ومودة، كما كان للمدرسين المسلمين والأقباط على السواء دور حيوى فى حياة تلاميذهم.

وكانت هناك أسرة قبطية تقطن إلى جوارنا، ولم يكن موقع شقتهم يسمح برؤية النجم لتحديد دخول موعد الإفطار، فكان يُطلب منى أن أقف يوميّا إلى حين ظهور النجم ثم أخبرهم بذلك.

وكنت ألاحظ أصدقاء خالى الأقباط من أعضاء حزب الوفد، وكيف كان الأعضاء يقفون صفًّا واحدًا ضد الإنجليز والملك. باختصار، كانت علاقتنا بإخواننا الأقباط فى هذا المجتمع التقليدى علاقة طيبة ومستقرة، **فهل من وسيلة لدراسة أسباب هذا الوئام الكامل؟ لإعادة إنتاجه فى مجتمعنا المصرى «الحديث» الذى أصيب بعض أفراده بلوثة فى موضوع الدين؟**

*** درس للتحديثيين والأصوليين**

كنت مرة أستمع إلى السيد الضَوّى (منشد السيرة الهلالية الشهير) فى المركز الثقافى البريطانى. ومن المعروف أن السيرة تبدأ بالصلاة على النبى، ولاحظ المنشد وجود عدد كبير من الأجانب غير المسلمين ومن الأخوة الأقباط، فأحس أن عليه أن يُطوِّر افتتاحيته بما يُلائم هذا الوضع دون أن يُلغيها أو يستأصلها (كما يفعل بعض التحديثيين)، ودون أن يصر عليها بحرفيتها (كما يفعل بعض الأصوليين)، فأضاف عبارة «**وكل اللى له نبى يصلى عليه**». وبذلك أنجز المنشد ما يجده بعضنا صعبًا: الحفاظ على التقاليد والقيم، دينية كانت أم أخلاقية، وتوسيع نطاقها بحيث يمكن لأعضاء الأقليات أن يشعروا أنها لا تستبعدهم، فنحن ـ كما يُعَلمنا الإسلام ـ أمة واحدة.

الثمرة الحادية عشرة...

بين التراحم والتعاقد

* التراحـم والزمـن الجمـيل

كانت مدينة دمنهور مدينة تجارية تسود فيها العلاقات التعاقدية التى تسود فى المدن والمجتمعات الحديثة. وتحت هذه القشرة الحديثة كان هناك مجتمع تقليدى؛ جماعة مترابطة متراحمة، العلاقات فيها ليست مبنية على المنفعة واللذة وحسب، بل كانت هناك حسابات أخرى غير مادية وغير أنانية تشكل مكونًا أساسيًّا فى هذه العلاقات.

ولأننى انتقلت من مجتمعات أقل تعاقدية إلى مجتمعات أكثر تعاقدية، إلى أن وصلت إلى نيويورك قمة التعاقد، فقد أصبحت مُلاحِظًا قويًّا لعلاقات التعاقد والتراحم، وأصبح التناقض بينهما من أهم المفاهيم فى خريطتى الإدراكية للعالم. **وأعتقد أن هذا الجانب فى خلفيتى الثقافية هو ما جعلنى لا أنبهر بالمجتمع الأمريكى، فنقطتى المرجعية كانت دائمًا هى المجتمع الزراعى التراحمى.**

على سبيل المثال، كنت ألاحظ علاقة والدى بالعمال داخل متجرنا وبكل من يعملون عندنا. كان والدى يُقتِّر ويغدق عليهم حسبما يراه هو مناسبًا. ولكن هذا **التفاوت الاقتصادى كانت تقلل من حدته العلاقات التقليدية التراحمية والواجبات الاجتماعية والأخلاقية** الملقاة على عاتق والدى بحُسبانه «معلم كبير» وصاحب عمل. **فأسلوب حياة العمال وصاحب العمل كان أسلوبًا واحدًا؛** الأعياد هى هى، والأحزان هى هى، واللغة هى هى، وطريقة الطعام هى هى. جميعهم كانوا يحتفلون بمولد النبى ولا يحتفلون بأعياد الميلاد أو رأس السنة، جميعهم كانوا يلبسون بنفس الطريقة (فالملابس

openkandil.com

الغربية كانت لا تزال هامشية)، وجميعهم كانوا يُصلّوُن معًا، ويعملون معًا، ويقضون أوقات فراغهم معًا.

وأذكر مرة أن دق جرس باب منزلنا ففتحته، فوجدت فتاة فائقة الحسن ترتدى فستانًا جميلًا للغاية (ولعلها إسقاطات فتى يافع من دمنهور) وتحمل قفصًا للغسيل أو الخبز، وقالت: «هل تريدون شراءه؟» فتطوعت بأن أقول لا؛ لأننى كنت أعرف أن عندنا مثل هذا القفص. لكنى سمعت أمى تزجرنى من الداخل وتأمرنى ألا أتدخل فيما لا يعنينى، وأمرتنى أن أعطيها مبلغًا كبيرًا من المال يفوق بمراحل ثمن القفص. وبعد ذلك، علمت أن الفتاة من «أبناء الناس الطيبين» الذين إما فقدوا عائلهم وإمَّا تدهورت أوضاعهم المالية لسبب أو لآخر. وكانت هذه هى الطريقة المحترمة التى يمكن بها أن تصل إليهم المعونة المالية دون خدش للحياء، أى **أن التبادل التعاقدى هنا كان قشرة ظاهرة تغطى التراحم (الكامن)**، الهدف منها أن تجعل الصدقة تبدو كما لو كانت عملية بيع وشراء لا أكثر ولا أقل.

وتظهر أسبقية الأخلاقى على الاقتصادى فى طريقة **تعامل التجار الواحد مع الآخر**. فكلمة الشرف لها وزنها، كان هناك ولا شك تعامل بالشيكات والكمبيالات وإيصالات الأمانة، ولكن «**كلمة الشرف**» كانت هى المرجعية النهائية. ومع تزايد التعاقد فى بلادنا تراجعت أهميتها.

فى داخل الأسرة الواحدة الممتدة يوجد دائمًا الأغنياء والفقراء، فكان الجميع يعطون للعروس «**نقطة**»؛ مبلغًا من المال يُدَس فى يد العروس بحيث لا يراه أحد ولا يعرف مقداره (على عكس «النقطة» التى تُعطى «للعالمة» [الراقصة]، فهذه تُعلَن على رءوس الأشهاد!). وفى إطار عملية التبادل الظاهرية هذه يتم **إعادة توزيع الثروة**، إذ يعطى الأثرياء نقطة تفوق بمراحل تلك التى يعطيها الفقراء لأبناء الأثرياء.

ويظهر التراحم كإطار مرجعى نهائى فى **موقف الفقراء من الزكاة، فهم يَعُدُّونها «حقًّا» لهم وليست منحة** يقدمها الأثرياء. وهذا الشعور لا يزال سائدًا حتى فى القاهرة، وهذا ما يخفف من حدة الفقر فى هذا البلد.

وكان أستاذ التربية الرياضية فى المدرسة يخبرنا أن قيم المحبة أهم من قيم التعاقد، ولذا حينما كانت إحدى فرق الأقاليم المجاورة لدمنهور تزورنا، كان يطلب منا أن ندعهم يسجلون بعض الأهداف حتى لا يصابوا بالإحباط الكامل.

وحينما كان أحدهم يعطينى هدية كنت آخذها وأشكر صاحبها ولا أفض غلافها، ففضُّ غلاف الهدية وعرضها يعنى تحويلها من قيمة إنسانية (كيف) إلى ثمن محدد (كم)، وبالتالى إخراجها من عالم التراحم إلى عالم التعاقد والتبادل. وقد امتد بى العمر لأرى ملامح «التقدم»، إذ أصبحنا الآن نفض غلاف الهدايا ونعرضها على الملأ، «واللى ما يشترى يتفرج!».

*** وقعنا فى قبضة التعاقد فخسرنا الثراء والدفء والسعادة**

ويروى د. المسيرى قصة امرأة أمريكية أرادت الخروج مساءً فاستدعت أمها لتجلس مع طفلتها، وعندما عادت الابنة فوجئ بها تُخرِج دفتر الشيكات وتعطى لأمها شيكًا بمقدار عشرة دولارات أجرًا لها، ويقول: هنا أدركت معنى هذه الواقعة وفحوى الكثير من المواقف التى مرت بى فى الولايات المتحدة، فالأم بطبيعة الحال ليست فى حاجة إلى عشرة دولارات، ولكن ما تم هو شعائر التعاقد، وهى **شعائر لا بد من إقامتها حتى تسود التعاقدية وتتغلغل فى كل العلاقات، ولا يفلت من قبضتها شىء بما فى ذلك علاقة البنت بأمها**.

وأخبرنى صديق أمريكى إنه لا يتمتع **بالإعفاء الضريبى** الخاص بأبنائه

حينما يصلون إلى سن الرشد (18 عامًا فى الولايات المتحدة)، لذا يكون من مصلحته المادية أن ينفصل أولاده عن الأسرة ليقيموا فى منازل خاصة بهم، وفى هذه الحالة يمكنهم هم أيضًا التمتع بالإعفاء الضريبى!

وفى عصر الانفتاح، أذكر أننى كنت أزور ابن خالتى فى دمنهور، وكان محاسب ويجيد الإنجليزية، فأخبرته إنه لو انتقل إلى القاهرة أو حتى الإسكندرية لحقق أرباحًا طائلة فى وظيفته الجديدة، وفوجئت به يرد على: «ومن سيرعى أبوىَّ [مين حياخد باله من أبويا وأمى]». ذُهِلتُ من بساطة الرد وبساطة الالتزام فى مقابل **حركية الإنسان الحديث الذى لا يعرف ثوابت ولا قيمًا إلا قيمة الصراع والتراكم المادى.**

ولا يمكن القول بأن مجتمعاتنا العربية مجتمعات تراحمية خالصة، **فنموذج التعاقد والصراع يزحف وبسرعة نحو مجتمعاتنا، ويسيطر علينا.** وإلا فبم نفسر إجابة البعض على التعبير عن الأسف والاعتذار بقولتهم المشهورة: «وآسف دى أصرفها من أى بنك؟». ولتجرب ولتذهب إلى إحدى المناطق السياحية لتعرف أن كل شىء له ثمن محدد (سألت مرة صبيًا عن مكان كنت أبحث عنه، فأخبرنى عنه ثم طلب نصف جنيه، رحمنا الله وإياكم !).

*** ارحمـوا من فى الأرض... يرحمكـم مَن فى السمـاء**

لقد تعلمت من المجتمع التراحمى أهمية الإنسان ككائن حر نبيل وأهمية العواطف وأهمية الإفصاح عنها. فأنت لا يمكن أن ترى الأشياء بوضوح إلا من خلال القلب، فكل الأمور الجوهرية غير مرئية، والأمور الجوهرية هى الأمور الإنسانية وما عدا ذلك فأمور طبيعية مادية.

وقد وَلَّدَ فِىَّ الانتماء للمجتمع التقليدى التراحمى كثيرًا من المشاعر والسمات، فيمكن القول أن **ثقتى بنفسى** تعود إلى طفولتى وصبباى، حيث كنت

أتحرك فى مجتمع أعرف كل من فيه ويعرفوننى ويعرفون أبى وأعمامى وأخوالى. ولعل المجتمع التقليدى التراحمى هو أيضًا الذى وَلَّدَ فِىَّ **الحرص على علاقاتى الإنسانية وصداقاتى**، فأنا لا أدع الصداقات تضمر بتغير الزمان والمكان.

*** إيجابيات التعاقد**

ومع هذا لا بد أن ندرك **أن لروح التعاقد جوانبها الإيجابية**؛ فهى تحدد حقوق الإنسان وواجباته بدقة، وبالتالى تقلل من التوترات بين الأفراد، ولا يمكن لأى مجتمع أن تقوم له قائمة، إن لم يكن هناك احترام للتعاقد وما يتضمنه من حقوق وواجبات. ولكن معظم هذه الإيجابيات تنصرف إلى رقعة **الحياة العامة**، لأن رقعة **الحياة الخاصة** بكل ما فيها من تركيبية تتطلب شيئًا أكثر تركيبًا من التعاقد الذى يقوم بتقويض العلاقات الإنسانية الحميمة.

الثمرة الثانية عشرة...

من سلبيات المجتمع التقليدى

لاحظنا أن المجتمع التقليدى تتم فيه عملية الضبط الاجتماعى بشكل مباشر، من خلال الأبوين والأقارب والجيرة، لذلك فهو **يدين بالولاء لنفسه ولعلاقات القرابة والجيرة المباشرة**. ويقف هذا على النقيض من التعامل مع مؤسسات الدولة والمؤسسات الإعلامية المختلفة التى تطلب الانضباط والولاء لها دون غيرها، وتحاول تنميط الفرد حسب قوالب مُعَدَّة مُسبقًا، فتقضى على فرديته وشخصيته حتى يمكنها توظيفه فى تحقيق أهدافها العملية.

وحتى لا يتصور أحد أن لدىَّ حنينًا رومانسيًّا للماضى (برغم إدراكى لكثير من إيجابياته)، يجب أن أُشير إلى وعيى بالجانب المظلم للمجتمع التقليدى:

*** الفـرد التقلـيدى يرفـض الانضباط والانقياد للقوانين العامـة**

يظل الفرد فى المجتمع التقليدى محصورًا داخل ولاءاته لأسرته أو عشيرته، أما عند تعامله مع المؤسسات العامة **يرفض الانصياع للقوانين العامة** التى تتجاوز نطاق هذه الولاءات والقيم الأخلاقية التقليدية، ولا يطبق هذه القيم إلا على حياته الخاصة المباشرة. أمَّا رقعة الحياة العامة فهى مباحة، ولا قداسة لها. لذا نجد فى الجامعة ـ على سبيل المثال ـ فتاة محجبة متمسكة بأهداب الفضيلة، مطيعة لوالديها، ولكنها لا تتورع عن الكذب على الأستاذ والغش فى الامتحان؛ لأن الأستاذ والامتحان يقعان خارج نطاق الولاء لمنظومة القيم التقليدية.

ونفس التناقض تجده فى سلوك الناس داخل **المسجد** وخارجه، فهم فى صلاة الجمعة يفسحون الأماكن لبعضهم ويصطفون صفًا واحدًا مستقيمًا («استقيموا يرحمكم الله») ويخرجون بشكل هادئ من المسجد. ولكن على بُعد خطوات منه تجدهم يتدافعون ويتشاجرون إن كان يقف بائع بطيخ، ولا يحترمون الطابور أو الدور.

إن التناقض بين سلوك الإنسان فى حياته الخاصة وحياته العامة آخذ فى التفاقم فى العالم العربى رغم تصاعد معدلات التحديث والترشيد، بسبب فساد كثير من النخب الحاكمة، فهى تُعطى الإشارة للناس إلى أن رقعة الحياة العامة لا تنطبق عليها أى قيم أخلاقية.

*** المجتمـع التقليدى يَـدُس أنفـه فى كـل شىء**

وإذا كان المجتمع التقليدى يحمى الإنسان من التقاليع وهجمة الحداثة ويساعده على تأكيد هويته فإنه يشكل عبئًا على المرء، خاصةً إن كان يريد التغيير والإبداع، **فالمجتمع التقليدى يحدد كل شىء ويتدخل فى كل شىء.**

وهذا يذكّرنى بطالباتى اللاتى كنت أدرسهن فى كلية البنات، وكنت أعطيهن من المعلومات ما يساعدهن فى اختيارهن أثاث منازلهن بدلًا من أن يشترين أثاثًا بشعًا (ومكلفًا) من بعض محلات الأثاث التى تخصصت فى إفساد الذوق. ففى أحد الأيام جاءتنى إحدى الطالبات فى غاية الحزن، وقالت: «ما الفائدة من كل هذا؟ أمى هى التى ستشترى لى الأثاث حسبما يروق للناس». والطالبة ـ للأسف ـ كانت محقة تمامًا. وحينما اشتريت غرفة مائدة قديمة، وكانت جميلة، صُعِقت إحدى قريباتى وأخبرتنى هامسة أننى لا بد أن أزعم أنها جديدة، وإلا أصبَحَت فضيحة بجلاجل للعائلة بأسرها. فالمهم فى الأثاث أن يكون جديدًا ومكلفًا!.

الثمرة الثالثة عشرة...

خلاصة الثمر: البحث عن الذات

أرجو ألا يُفهم مما سبق أننى أدعو إلى العودة إلى الماضى (فهذا أمرٌ مستحيل)، كما أننى لا أنكر وجود جوانب مظلمة للمجتمع التقليدى (فمثل هذا الإنكار أمر طفولى). ما أود تأكيده هو أن المجتمعات التقليدية كانت تحوى منظومات قيمية وجمالية لم يُؤَد تقويضها وتدميرها إلى مزيد من السعادة. كما أود الإشارة إلى أن الأشكال الحضارية الحديثة (عادةً المستوردة) ليست هى الأشكال الحضارية الوحيدة، بل هناك أشكال أخرى قد تكون أكثر ثراءً وأكثر دفئًا، والأهم من هذا أنها قد تكون أكثر تجذرًا، ولا شك أن ضياع هذه الأشكال يمثل خسارة حقيقية.

إن المشكلة التى تواجهنا هى:

هل يمكن أن ندخل العصر الحديث، وننفض عن أنفسنا رتابة المجتمع

obeikandl.com

التقليدى واتجاهه نحو تكرار نفسه، دون أن نُضَيِّع العناصر الإيجابية التى يتسم بها هذا المجتمع؟

هل يمكن أن ندخل المستقبل ومعنا ماضينا، نحمله كهوية وذات تحفظ لنا خصوصيتنا وتساعدنا على أن نجد اتجاهنا، لا كعبء يُثقل كاهلنا؟.

***

obeikandl.com